المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - Electronic ISSN 2790-1254
العدد 22 No. 22
آب 2026 August 2026

المرأة والفقر في الشعر الاجتماعي عند إيليا أبو ماضي

م. م حيدر عبدالله محسن
المديرية العامة للتربية في ذي قار
hearte 164@ gmail.com

الملخص

لقد كان الشعر الاجتماعي أحد الفنون الشعرية التي تعمل على معالجة أحوال المجتمعات ووصف عللها وآلامها وشرح مالها من امنيات ومطالب متعددة في هذه الحياة , وكان لشعراء العصر الحديث اهتماما كبيرا إذ افردوا لهم اقساماً ذات اهمية في دواوينهم الشعرية وعرضوا الكثير من المشاكل والآفات الاجتماعية التي يعاني منها الشرقيون في مجتمعاتهم, وكانت قضية المرأة والفقر من القضايا التي لها الأثر العميق في حياة المجتمعات الإنسانية والشعر الاجتماعي الذي جعل المرأة الفقيرة رمزاً للضعف الإنساني تارة, وللصبر تارة اخرى, لكونها صورة حية للألم الانساني والمعاناة اليومية, فصور ما تعانيه من تهميش وقسوة الحياة , كذلك لم يقف الشعر الاجتماعي عند الوصف الخارجي لما تعانيه بل تجاوز ذلك للكشف عن المسببات التي ادت الى تفشي الفقر وما نتج عنه من اثار تنعكس في طياتها على المرأة والمجتمع , فبرزت العديد من الصور والمشاهد التي رسمت القسوة والمعاناة التي اراد منها الشعراء تحفيز وأثارة الوعي الاجتماعي والدعوة إلى الأنصاف والرحمة والتكافل الإنساني, وأن دراسة المرأة والفقر في الشعر الاجتماعي عند إيليا أبو ماضي ما هو إلا للعمل والكشف عن البعد الانساني والاصلاحي للتجربة الشعرية التي جسدها الشاعر في توضيح ما يتعلق في وصف معاناة المرأة بشكل خاص لأنها عنصر اساسي من عناصر المجتمع ووصف معاناة المجتمع بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: الانسان, المرأة, الفقر.

Women and Poverty in the Social Poetry of Elia Abo Madi

A. L. Haider Abdullah Mohsen
General Directorate of Education in Dhi Qar

Abstract

Social poetry was one of the poetic arts concerned with addressing the conditions of societies, describing their defects and sufferings, and expressing their hopes and various aspirations in life. Modern poets paid great attention to this genre, dedicating significant sections to it in their poetry collections, where they presented many of 5`88the social problems and afflictions suffered by Eastern societies.The issues of women and poverty were among the subjects that had a profound impact on human societies. Social poetry often portrayed poor women as symbols of human weakness at times and symbols of patience at others, as they represented a vivid image of human pain and daily suffering. Poets depicted the marginalization and harshness of life that women endured. Moreover, social poetry did not stop at merely describing their outward suffering; rather, it went beyond that to reveal the causes that led to the spread of poverty and the consequences that affected both women and society.As a result, many images and scenes emerged portraying cruelty and suffering, through which poets sought to stimulate social awareness and call for justice, compassion, and human solidarity. Therefore, the study of women and poverty in the social poetry of Elia Abu Madi aims to uncover the humanitarian and

reformative dimensions of the poetic experience embodied by the poet in portraying the suffering of women in particular, as they are an essential element of society, and the suffering of society in general.
Keywords: Human, Woman, Poverty.

المقدمة:

اتخذ الشعر الاجتماعي الانسان وقضاياه محورا مهما ورئيسا للتعبير, والسعي للعمل على تشخيص مشاكل المجتمع والدعوة إلى اصلاحها من خلال رؤية انسانية مزجت بين الاحساس الفني والوعي الفكري , لكو نه احد ابرز اتجاهات الادب العربي الحديث, وقد كان لشعراء المهجر اسهاما كبيرا في ترسيخ هذا الاتجاه لتأثرهم بالبيئات المتعددة التي عاشوا فيها ولما امتازوا به من نزعة انسانية ذات افق واسع انعكست بوضوح في نتاجهم الشعري, ويُعد أبو ماضي من شعراء المهجر الذين اولو قضايا الانسان وبالأخص قضيتي المرأة والفقر اهتماما كبيرا في شعره الاجتماعي , فقد تطرق للمرأة بوصفها عنصرا رئيسا في بناء المجتمع, وابرز ما تعانيه من ظلم في بعض البيئات, كما اشار الى الفقر بوصفه احد العناصر التي تمس كرامة الانسان, ودعوته الصادقة للحد من التفاوت الطبقي والعمل التكافل والتراحم والعدالة, ومن هنا تمثل دراسة المرأة والفقر في شعر أبي ماضي الاجتماعي مدخلا لفهم ابعاد شعره التي جعلت منه رساله اخلاقية واجتماعية تهدف إلى بناء مجتمع اكثر مساواة وعدلاً.

1-مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن الكيفية التي قام بها الشاعر في طبيعة معالجته والرؤيا الإنسانية والاجتماعية لقضيتي المرأة والفقر, من خلال تصويره لهما وابرز المظاهر الاجتماعية, والقيم الانسانية التي دعا إليها, والوسائل والفنية التي قام بالاعتماد عليها للتعبير عن المرأة والفقر في شعره الاجتماعي.

2-اهمية البحث:

تأتي اهمية البحث في إلقاء الضوء على البعد الانساني من خلال ابراز الصلة بين المضمون الاجتماعي والفني وما يحتويه من قيم تسهم في اثراء الدراسة الادبية المتعلقة في الشعر الاجتماعي وما فيه من قضايا متعددة تعنى بالقضايا الاجتماعية كقضيتي المرأة والفقر التي عمل الشاعر على دراستها وبيان مكانة المرأة في المجتمع وتصويره لمعاناة الفقراء ودعوته إلى العدالة الاجتماعية واحترام كرامة الانسان.

3-**أهداف البحث:**

يهدف البحث الى القيام و الكشف عن موقفه تجاه المرأة وبيان مكانتها وحقوقها, وللعمل على ابراز مظاهر الفقر وكيفية اظهار ذلك في شعره وبيان البعد الانساني والاجتماعي والقيم الاصلاحية التي دعا إليها عبر تراكيب وخصائص فنية وظفها في شعره مع بيان اثر النزعة الانسانية في تشكيل النظرة والرؤية الشعرية الاجتماعية.

4-**منهج البحث**:
يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لملائمته النصوص الشعرية التي استعملها ايو ماضي في قضيتي المرأة والفقر, للكشف عن المضمون الاجتماعي والانساني وابراز رؤياه الفكرية والفنية من خلال التشكيل والتجربة الشعرية.

5-**حدود البحث:**
تأتي حدود هذا البحث بصورة خاصة على دراسة قضية المرأة وقضية الفقر وبصورة عامة على الانسان في الشعر الاجتماعي عند إيليا أبو ماضي من خلال العمل على تحليل النصوص الشعرية بصورة

موضوعية تقتصر على هاتين القضيتين وما يتصل بهما من قيم انسانية واصلاحية, كما لا يتناول سائر الموضوعات التي عالجها في شعره.

الأنسان:

إن النزعة الإنسانية هي من أسمى النزعات لدى الانسان فإنها تشتمل على كل ما في الوجود الإنساني من العواطف والمشاعر، وترتفع بالإنسان إلى أعلى المراتب والدرجات، إن الحنين إلى الوطن نزعة إنسانية تعبر عن ارتباط الإنسان وشوقه الخاص إلى وطنه وتمثل جمال الوطن ومحاسنه وأن التأمل في الوجود والنفس والعيش والعالم نزعة إنسانية نراها في أشعار المهجريين، وتتجلى هذه النزعة في حبهم للمرأة و إدراك آلامها ومشاعرها وفي حبهم للناس وللأمهات والأبناء ذلك الحب الذي يكون بعيداً عن الشهوات والنزوات النفسية، فالنزعة تفسر أحزان الناس وآلامهم وتخفف من مشاكل المجتمع ومأساته بإشاعة الأمل والتفاؤل والسرور وتنشر الأصول والمبادئ الشريفة وتحسن مستوى معيشة الشعب ((ينظر: حسن جاد, ص: 405-407)), إن أبا ماضي شاعر إنساني، اجتماعي يدعو الناس إلى الحب، ويعتز بوطنه ويعشق الحرية ويذكر محاسنها ويعنى بالطبيعة ويستلهم منها في حياته الاجتماعية، ويحارب الغرور والتكبر ((ينظر: حسن جاد, ص: 470, 471)), كذلك إن شعراء الرابطة القلمية لهم شعور مرهف بالمشاكل الإنسانية ولهم تأملات شعرية وأنهم يرون فيها حقائق خالدة وهذه الواقعيات المرة عادة تؤدي إلى اليأس والحزن في المجتمع ((ينظر: شوقي ضيف, 1974, ص: 182)), فالشاعر اتجه إلى الواقع في مجتمعه، إذ أدخل موضوعات الفقر المرأة الظلم الغرور والفساد و... في أشعاره، وبما أن ظاهرة الفقر والغنى والظلم لا تختص بوطنه لبنان بل قضية إنسانية عالمية، وهذه القضايا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقضايا الاجتماعية، فترى أن الشاعر عندما يتحدث عن هذه الأمور يذكر دورها الهام في المجتمع. وقد حفل شعره بالمشاكل الاجتماعية التي عانى منها الشاعر فهي مشاكل مختلفة الجوانب وإيليا أبو ماضي يهتم بقضايا المجتمع ويذكر آلامه ومأساته من خلال أشعاره ويطلب إصلاح المجتمع، داعياً إلى القضاء على تلك المشاكل ((ينظر: سالم المعوش , 1997, ص: 70-71, وينظر: ص: 250)) , إنه يرغب في بناء مجتمعه ويحاول أن يشارك في إصلاح الأمور الوطنية والقضاء على المعاناة، لكنه ما استطاع أن يحصل على أهدافه لأنه يعيش في الغربة والتشريد والاغتراب عامل أساسي لعناية الشاعر بالآلام الاجتماعية والإنسانية، حتى أصبح هذا الشاعر بين الشعراء المهجريين أكثرهم تعمقاً بالقضايا الإنسانية ((الطباع عمر, ص: 116)), يرى إيليا أبو ماضي أن الوظيفة الحقيقية للشعر هي أن تكون في خدمة المجتمع والإنسانية وبما أن المحور الرئيسي في المجتمع المثالي هو الإنسان الكريم فيحاول الشاعر في كثير من أشعاره أن يبين مواصفات الإنسان والإنسانية كي يتحقق بذلك المجتمع المنشود الذي يقصده فكانت نظرة أبي ماضي إلى الإنسانية نظرة شاملة والإنسانية حسب رأي الفرد الخوري بناء متكامل متصاعد وخط عمودي يمضي قدماً، وهي بالتالي قوة متماسكة مترابطة متفاعلة على تباين أحاسيسها، واختلاف عقائدها تهدف إلى الحق والسلام والطمأنينة والاستقرار ((خليل برهومي , 1993, ص:75)) قال أبو ماضي:

سألوني أن أصف لهم الإنسان الكريم، فأجبتهم:
إن الكريم لك الربيع، تُحِبُّه للحسن فيه ونهش عند لقائه، ويغيب عنك فتشتهيه

يقول أبو ماضي في وصف الإنسان الكريم إنه كفصل الربيع في حسنه وجماله، لذا يستحسنه الناس ويحبونه، وعندما يغيب عنا فتحن نشتاق إلى رؤيته وإذا أصبح الدهر يسبغ عليه النعم والبركات لا يصبح مغروراً بذلك، وإذا تلحقه كارثة عظيمة يبتسم من جراء ذلك هازئاً، وإذا رأى أن الحساد يذوبون في حسادتهم له. يحزن من أجلهم ويبكي لهم : لأن قلبه رقيق وعطوف، وهو كالزهرة لأنه لا يمنع رائحته الطيبة حتى على أعدائه فنعمه شاملة تعم الجميع.

يصف أبو ماضي من خلال هذه الأبيات صفات الإنسان الكريم رداً على سؤال سائل، ويبدأ وصفه بالربيع واتصاف الشخص الكريم بصفات مثل الطلاوة وحسن معاشرة الناس بحيث يملك قلوب الناس جميعا، إن الإنسان الكريم ليس من الذين تفتقهم الدنيا لأنهم يعيشون عيشة كريمة في كلتا الحالتين سواء

كانوا في عيش رغيد أو كانوا يعانون من مشاكل، ويذكر صفة أخرى للإنسان الكريم وهي صفة الرحمة بحيث تشمل رحمتهم كل الناس حتى الأعداء والحساد.

إيليا أبو ماضي استطاع أن يقود الشعر العربي صوب الأهداف الإنسانية، كتحقيق العدل الإنساني ورد الإنسان إلى أصله الترابي، كما جاء في قصيدته "الطين"((الديوان:316))

نَسِيَ الطينُ ساعَةً أَنَّهُ طينٌ حَقيرٌ فَصالَ تيها وَعَربَد

وَكَسى الخَزُّ جِسمَهُ فَتَباهى وَحَوى المالَ كيسُهُ فَتَمَرَّد

يا أَخي لا تَمِل بِوَجهِكَ عَنّي ما أَنا فَحمَة وَلا أَنتَ فَرقَد

أَنتَ لَم تَصنَعِ الحَريرَ الَّذي تَلبَس وَاللُؤلُؤَ الَّذي تَتَقَلَّد

أَنتَ لا تَأكُلُ النُضارَ إِذا جِع ت وَلا تَشرَبُ الجُمانَ المُنَضَّد

أَنتَ في البُردَةِ المُوَشّاةِ مِثلي في كِسائي الرَديمِ تَشقى وَتُسعَد

لَكَ في عالَمِ النَهارِ أَمـــاني وَرُأى وَالظَـــلامُ فَوقَكَ مُمتَد

وَلِقَلبي كَما لِقَلبِكَ أَحـــلا مٌ جِســـــانٌ فَإِنَّهُ غَيرُ جَلمَد

أَأَمانِيَّ كُلُّها مِن تُـــراب وَأَمـانيكَ كُلُّـــها مِن عَسجَد

يقول أبو ماضي إن الإنسان الذي هو مصنوع من الطين نسي أنه من التراب ويرجع إليه فيخاطب الإنسان المغرور الذي يفتخر بنفسه ولا يعبأ به قائلا له: إنني لست فحمة ضئيلا وأنت لست كوكبا ساطعا، ثم يقول لي آمال كما لك آمال وأهداف وليس قلبي من صخرة صماء، وإن أحلامي ليست من تراب وأحلامك ليست من ذهب خالص.

إن الغرور والتكبر من الظواهر الاجتماعية التي يشير إليها الشاعر، وهو من أسباب تخلف المجتمع وعدم وصوله إلى الرقي والتطور وحاجز أمام تقدم الناس وبناء مجتمع إنساني سليم، وأبو ماضي يعتقد أن الناس يتساوون((ينظر: سالم المعوش, 1997, ص: 137))، إن الشاعر في نزعته الإنسانية يدعو الإنسان إلى التسامح والإخاء في كل زمان ومكان، وهذه القصيدة تشير إلى أنه كان مصلحاً اجتماعياً يحارب الغرور والتكبر والمشاكل الإنسانية في المجتمع ويسأل الإنسان عن سبب غروره أمام الآخرين، بالرغم من أنه مخلوق من طين.

ويل للغني الذي حصل على ثروة هائلة دون معاناة الصعوبات والمشاكل أو حصل عليها بالوراثة فراح يفتخر بنفسه وويل لهؤلاء المغرورين الذين أصبح وجودهم مليئاً بالفخر والتكبر. فظنوا أنهم قد بلغوا أعلى الدرجات وأنهم عندما وجدوا في أنفسهم هذا الداء الأخلاقي أي الغرور والتكبر ما استطاعوا أن ينفعوا أنفسهم أو ينفعوا الآخرين ((نايف حاطوم, 1994, ص:88)) ويقول الشاعر: الديوان: 317-320))

إن يكن مشرقا لعينيك إني لا أراه من كوة الكوخ أسود

إن كان ذلك قد ظهر أمام عينيك بشكل واضح، فإني لا أستطيع أن أرى ذلك من خلال فجوة هذا الكوخ الأسود. أنت وأنا كلانا مخلوقان من الطين وسنعود إلى التربة من جديد، فيا صديقي لماذا تصد بوجهك عني وتتكبر ولماذا هذا الغرور ؟! لا تجعل في قلبك محلا وملجأ للخصومة والنزاع، فإن قلبي أصبح معبدا للحب والعشق يا صديقي أنا استحق الحب أكثر منك وذلك أجدر من ثوب يصبح باليا ومندرسا وأجدر من أموال تنتهي في يوم من الأيام. ثم يستنتج قائلا إن قيمة الإنسان أغلى من ملابس وأموال تبلى

بعد مدة قليلة ولا يبقى شيء منها فينبغي أن تحترم الناس لأن قيمة كل شخص بالإنسانية والاحترام المتبادل.

فمادام ذلك الإنسان جسده من طين لماذا لا يوجد في قلبه المودة، ولماذا لا يعطف على الآخرين ولا يهتم بالقضايا الإنسانية التي لها قيمة خاصة في المجتمع البشري، فعلى الإنسان أن يعتني بأخيه لأنه أولى بالاحترام والإحسان من الظواهر والماديات((ينظر: نايف حاطوم, 1994, ص:237)), إن الشعر المهجري مليء بالآراء الاجتماعية في عبادة المال وفي البخل كما يتحدث الشاعر عن التكبر، وقصيدة "الطين" لإيليا أبي ماضي، من أحسن القصائد التي تحذر عن الغرور والفخر والكبرياء، وهي لحن رائع من ألحان المساواة، ويقوم الشاعر بنقد الإنسان الذي يفتخر بماله ويتنعم بالعيش وبالطبع يؤدي هذا الأمر إلى الثورة عليهم من قبل الذين لا يملكون من الثروة والمال إلا الشيء الضئيل، ويصور لنا أن الإنسان المتكبر لم يعرف مكانته الواقعية وهناك بون شاسع بينه وبين السعادة الحقيقية وهو لا يكاد يفقه أن مكانة الإنسان ليست يجمع المال بل الإنسان يعرف بالإنسانية والأخلاق.

هذه الأشعار تجعلنا نتأمل في أن وجود الإنسان على الأرض من شيء واحد ورجوعه إلى المصدر نفسه، والشيء الوحيد الذي يكتب له الدوام والبقاء هو العطف والحنان والإحسان إلى الآخرين، ويعتقد الشاعر أن الجميع يتساوون في العواطف والمشاعر الإنسانية مهما كانوا يعيشون في كوخ متواضع أو في قصر ملكي.وأيضاً يقول أبو ماضي في قصيدة "الكبرياء خلة الشيطان((الديوان: ص:98)) :

لِيَ صاحِبٌ دَخَـــلَ الغُرورُ فُؤادَهُ ... إنَّ الغُرورَ أُخَيَّ مِن أَعدائي

أَسدَيتُهُ نُصحي فَزادَ تَمـــــــادِياً ... في غَيِّهِ وَازدادَ فيـــهِ بَلائي

أَمسى يُسيءُ بِيَ الظُنونَ وَلَم تَسُؤ ... لَولا الغُرورُ ظُنونُهُ بِوَلائي

قَد كُنتُ أَرجو أَن يُقيمَ عَلى الوَلا ... أَبَداً وَلَكِن خـــابَ فيهِ رَجائي

أَهوى اللِقاءَ بِـــهِ وَيَهـــوى ضِدَّهُ ... فَكَأَنَّما المَـــوتُ الزُؤامُ لِقائي

إِنّـــي لَأَصحَـــــــبَهُ عَلى عِلّاتِهِ ... وَالبَدرُ مِـــن قِدَمٍ أَخو الظَلماءِ

يا صـــــاحِ إِنَّ الكِبرَ خُلقٌ سَيِّئٌ ... هَيهاتِ يوجَدُ في سِوى الجُهَلاءِ

وَالعُجبُ داءٌ لا يَنـــــالُ دَواءَهُ ... حَتّى يَنـــالَ الخُلدَ في الدُنياءِ

فَاِخفِض جَناحَكَ لِلأَنامِ تَفُز بِهِم ... إِنَّ التَـــواضُعَ شيمَةَ الحُكَماءِ

لَو أُعجِبَ القَمَرُ المُنيرُ بِنَفسِهِ ... لَرَأَيتَهُ يَهوي إِلى الغَبراءِ

لي صديق قد شاب قلبه الغرور والكبر، فهذا الغرور يعد لي أخا من جانب أعدائي، وفي البيت الثاني يقول: يا صديقي اعلم أن الكبر والغرور يعد من الأخلاق السيئة فلذا لا يمكن أن تجد مثل هذه الصفة سوى في المجانين والحمقاء. إن الشاعر يحارب الغرور والتكبر لأنه آفة تدفع الإنسان عن طريقه الأصلي في مجرى الحياة فإذا الغرور خلق سيء لا نجده سوى عند الجاهليين ((ينظر: سالم المعوش, 1997, ص:97))

والعجب داء لا يقال دواؤه ... فاخفض جناحك للأنام تفز بهم

حتى ينال الخلد في الدنيا ... إن التـــــواضع شيمة الحكماء

والشيء العجيب أنه مرض لا يتمكن من الوصول إلى دواته سوى من يكون خالدا في الدنيا. فتعامل مع الناس بصدر رحب وبذلك تكسب قلوبهم لأن التواضع صفة من صفات الحكماء والعقلاء.

يظهر لنا من خلال الأشعار التي درست أن إيليا أبا ماضي كان يهتم بإزالة الغرور والكبر من المجتمع، وبهذا نرى اهتمامه بجوانب الحياة المختلفة، وفي الواقع كانت عنده نزعة إنسانية تدفعه إلى الخير والعدالة فيميل في معظم أشعاره إلى خدمة المجتمع بكل رغبة.

وقد أعجب الأستاذ الفرد الخوري بشاعر كأبي ماضي يدافع عن الإنسان بكل قواه وعزمه، فكأن بلاء أخيه في الإنسانية بلاؤه وهنا يتم فعل المشاركة و الاندغامية ((ينظر: عمر فاروق الطباع, 2006, ص: 92)) يعتبر جبران ونعيمة وأبو ماضي ونسيب عريضة من رواد الرسالة الإنسانية. الذين لم يألوا جهداً لتطور المجتمع الإنساني ((حسن جاد حسن, ص:236)) وأبو ماضي من الشعراء الذين اهتموا برفع مصائب الناس بدعوتهم إلى الحب والعدالة الإنسانية والتأمل في الوجود والرجوع إلى أصلهم الترابي، و يبشر الناس بحب الحياة ويقودهم إلى الحياة المتطورة ويهتم بالإنسانية فيحاول أن يقضي على المشاكل والمحن التي يتعذب الناس منها في المجتمع ويسعى أن ترجع القيم الإنسانية إلى المجتمع البشري.

المرأة:

تُعد قضية المرأة من القضايا التي لها دور اساسيا في المجتمعات البشرية واهمية كبيرة في تطور المجتمع, فقد اراد الشاعر إيليا أبو ماضي ان يجسد واقع المرأة عبر طرح المشاكل التي تعاني منها في الكثير من جوانب الحياة وفي جميع المستويات, وبيان دورها الكبير في التأثير العميق في حركة الحياة إذ لايستطيع احد أن يجادل فيه فهي جزء اساسي في بناء المجتمع, وإيليا أبو ماضي في قصيدة الرجل والمرأة(الديوان: 172)

يا رُبَّ قائِلَة وَالقَولُ أَجمَـــلُهُ ... ما كانَ مِن غــادَةٍ حَتّى وَلَو كَذَبا

إِلى ما تَحتَقِرُ الغــاداتُ بَينَكُمُ ... وَهُنَّ في الكَــونِ أَرقى مِنكُم رُتَبا

كُنَّ لَكَم سَبَباً في كُلِّ مَكــرُمَةٍ ... وَكُنتُم فــي شَقــاءِ المَرأَةِ السَبَبا

زَعَمتُم أَنَّهُنَّ خــامِلاتِ نُهىً ... وَلَــو أَرَدنَ لَصَيَّرنَ الثَرى ذَهَبا

فَقُلتُ لَو لَم يَكُن ذا رَأيُ غانِيَةٍ ... لَهاجَ عِندَ الرِجالِ السُخط وَالصَخَبا

لَم تُنصِفينا وَقَد كُنّا نُؤَمِّلُ أَن ... لا تُنصِفينا لِــهَذا لا نَرى عَجَبا

هَيهاتِ تَعدِلُ حَسناءَ إِذا حَكَمَت ... فَالظُلمُ طَبــعٌ عَلى الغاداتِ قَد غَلَبا

يُحارِبُ الرَجُلُ الدُنيا فَيُخضِعَها ... وَيَفزَعُ الدَهرُ مَذعوراً إِذا غَضِبا

يَرنو فَتَضطَرِبُ الآسادُ خائِفَةً ... فَإِن رَنَت ذاتُ حُسنٍ ظَلَّ مُضطَرِبا

فَإِن تَشَء أَودَعتُ أَحشائُهُ بَرَداً ... وَإِن تَشَء أَودَعــــتُ أَحشائَهُ لَهَبا

تَفنى اللَيالي في هَم وَفي تَعَبٍ ... حَــذارَ أَن تَشتَكي مِن دَهرِها تَعَبا

وَلَو دَرى أَنَّ هَذي الشُهبُ تُزعِجُها ... أَمسى يَروعُ في أَفلاكِها الشُــهُبا

يَشقى لِتُصبِحَ ذاتُ الحَلي ناعِمَــةً ... وَيَحمِــلُ الهَمَّ عَنها راضِياً طَرِبا

فَما الَّذي نَفَحَتهُ الــــغانِياتُ بِهِ ... سِوى العَذابِ الَّذي في عَينَيهِ عَذُبا

هَذا هُوَ المَرءُ يا ذاتَ العَفافِ فَمَن يُنصِفهُ لا شَكَّ فيهِ يُنصِفُ الأَدَبا

عَنَّفتِه وَهوَ لا ذَنبَ جَناهُ سِـــوى أَن لَيسَ يَرضى بِأَن يَغدو لَها ذَنَبا

هنا اراد أن يبين لماذا تُحتقر النساء بينكم وهن اعلى مكانة ومرتبة منكم, وانتم احد الاسباب الرئيسة في مايحل من مصائب على المرأة ومشاكل متعددة' فهي التي تقدم لكم المكارم واسباب الحياة السعيدة, وتزعمون بأن المرأة اقل عقلا وفهما في المجتمع الإنساني. لكن بإمكان المرأة ايجاد تغييرات اساسية في المجتمع, فأبو ماضي يشير هنا إلى معتقدات خاطئة مو جودة في المجتمع, فيرفع من مكانة المرأة, وينبه على مسألة أن المرأة والنساء بصفة عامة قد هُضمت حقوقهم, كذلك يعمل على اثارة وطرح مسألة اخرى تتعلق بالمشاكل التي تسبب عدم مشاركة النساء الأنشطة والفعاليات المتنوعة في المجتمع.

ومن جملة الأسباب والمشاكل التي تعيق عمل المرأة, وجود معتقدات واهية ومزعجة تحكم المجتمع, فالكثير يعتقد بأن المرأة اقل فهم واحساس بالمسؤولية من الرجال, وعدم الأيمان بقدرات النساء, وفي الواقع أن الشاعر يهدف إلى العمل على تغيير هذا الاعتقاد والرؤية بالنسبة للنساء مبينا أن النساء إذا أردن أن يقمن بتغييرات أساسية في المجتمع , لفعلن ذلك, ويجب قبول المرأة كعنصر هام في سبيل تطور المجتمع, وهذا ما أراد أبو ماضي أن يظهره في شعرة وأن يبرز مكانة المرأة في بناء المجتمع الإنساني وتقدمه ودورها في تنظيم الشؤون الاجتماعية ولكنها لم تحصل على مكانتها الحقيقية, ويرى أبو ماضي أن السبب الرئيس في تخلف المجتمع هو ماتتعرض له المرأة من ظلم, فالشاعر ينتقد الواقع وواقع استعبادها من جراء العلاقات الإجتماعية الجائرة التي تتحكم في البلدان المتخلفة وبالرغم من جهودها ومعاناتها في في المجتمع لا احد يستطيع إدراك الامها وعواطفها, فيحاول الشاعر أن يخرج المرأة مما تحس به في وجودها من متاعب ومشاكل ومايخطر ببالها , فهو متفائل بقدرة المرأة ويتحدث الشاعر عما في وجودها ويوقظ ضمير الرجال الغافلين عما في باطنها من النشاط والفعالية, وبرأيه هناك للمرأة مكانة ومنزلة مرموقة ويرى أن الشعب لم يعرف قيمتها ومكانتها الشامخة في المجتمع, فالمرأة التي يصورها الشاعر لاتزال حياتها مفعمة بالإلام نفسية ((ينظر: الهواري, 2009, ص:178)), فيقول لها: اسمعي بتأن صوت الأنهار والمياه التي تنجرف نحو منحدر الجبل, وقومي بشم عبير الزهور والرياحين والورود في الحدائق مادامت تصدر روائح ذكية, وانتعشي من خلال مشاهدتك للنجوم في السماء مادامت ظاهرة, ومن قبل أن يأتي زمان كالسراب والدخان وفي ذلك الحين لن ترين البركة والغدير ولن تتمتعي بعد ذلك بسماع صوت الماء لتكن حياتك كلها أملاً جميلا طيبا إن التأمل في الحياة يزيد الأوجاع.

وعندما نقف عند قصيدة المساء نرى الشاعر يبث مافي داخله من مشاعر واحاسيس, فدعا من خلالها الإنسان المتشائم إلى الإقبال على الحياة, والنظر إليها بتفاؤل وأمل, لبناء مستقبل والاستمتاع بغدٍ أفضل((ينظر: مختارية معزيز, ص186)), فقد اتخذ الشاعر من الطبيعة عنواناً لقصيدته هذه إذ افتتحها بأجواءٍ من التشاؤم بهدف تحريك مشاعر المتلقي وأحاسيسه من خلال تصوير الطبيعة, بصورة قاتمة توحي باليأس والمأساة, إذ صور السحب بإنسانٍ يركض خائفا كأنها تخاف أن يقبل عليها الليل, والشمس وقت الغروب تبدو صفراء شاحبة اللون تتسلل إلى ما وراء الأفق بإعياء, أما البحر فهو هادئ وراكد كأنه رجل زاهد خاشع, وبعد ذلك يكمل الشاعر الحديث بنَفس سلمى وما يدور في ذهنها من حيرة وقلق, ويسألها عن حالتها التي تظهر عليها, فيراها واقفة على مفترق طرق بين الطفولة والشيخوخة وقد طالها الإحساس بالتشاؤم((ينظر: مختارية معزيز, 186)), ويلاحظ الشاعر هنا يوازن بين مظاهر الطبيعة وحياة سلمى فالشمس الساطعة والأفق الجلي يقابلان الطفولة والصبا, اما الشمس الشاحبة فتقابل الكهولة, فيصور سلمى خائفة من حلول الليل وعدم وجود النجوم وضلت الطريق ولا تعرف ما الذي عليه فعله, ومن ابيات القصيدة ذلك بقوله :

السُحُبُ تَركُضُ في الفَضاءِ رَكضَ الخائِفين

وَالشَمسُ تَبدو خَلفَها صَفراءَ عاصِبَةَ الجَبين

وَالبَحرُ ساجٍ صامِتٌ فيهِ خُشوعُ الزاهِدين

لَكِنَّما عَيناكِ باهِتَتانِ في الأُفقِ البَعيد

سَلمى بِماذا تُفَكِّرين

سَلمى بِماذا تحلُمين

أَرَأَيتِ أَحلامَ الطُفولَةِ تَختَفي خَلفَ التُخوم

أَم أَبصَرَت عَيناكِ أَشباحَ الكُهولَةِ في الغُيوم

أَم خِفتِ أَن يَأتي الدُجى الجاني وَلا تَأتي النُجوم

أَنا لا أَرى ما تَلمَحينَ مِنَ المَشاهِدِ إِنَّما

أَظلالُها في ناظِرَيكِ

تَنِمُّ يا سَلمى عَلَيكِ

إِنّي أَراكِ كَسائِحٍ فيم القَفرِ ضَلَّ عَنِ الطَريق

يَرجو صَديقاً في الفَلاةِ وَأَينَ في القَفرِ صَديق

يَهوى البُروقَ وَضَوأَها وَيَخافُ تَخدَعُهُ البُروق

بَل أَنتِ أَعظَمُ حيرَةً مِن فارِسٍ تَحتَ القَتام

لا يَستَطيعُ الإِنتِصار

وَلا يَطيقُ الإِنكِسار

يُجسد الشاعر في هذا المقطع المقارنة بين ما كانت عليه سلمى في مطلع عمرها وما هي عليه الآن؛ فهي في وقت الضحى الذي يرمز إلى الشباب والحيوية والأمل غيرها في وقت المساء الذي يرمز إليه بالحيرة والاكتئاب؛ ففي مقتبل العمر كانت سلمى متألقة ومتوهجة وينعكس ذلك على وجنتيها، إلا أنها عندما واجهت المساء عرتها الهواجس وأحنت رأسها بين يديها تفكر، ويقصد الشاعر من هذا المشهد أنّ الإنسان يكون سعيدًا عندما يحيا حياته مقتصرًا فيها على الحاضر دون أن يمتثل شبح المستقبل أمامه((ينظر: سلمى الجيوسي, 2007, ص)), بعد ذلك يُكمل الشاعر حواره مع سلمى ويطرح عليها تساؤلات خاصة يضع فيها خيارات وأسباب لذلك التفكير اليائس المحيط بها؛ فهل تفكر بذلك النور الذي يبدو كالسلطان ويجلس على العرش ولمّا جاء المساء قبض على عرشه ومحى بهاء الأر البادي على هضباتها، أم بالعصافير والمروج الخضراء، أم بالمساء الذي حين يُقبل يغمر المدينة والقرية والكوخ والقصر فيساوي بين جميع الأشياء ((ينظر: منيف موسى, 1989, ص: 148)) ومن ابيات القصيدة التي تمثل ذلك قوله: ((الديوان, 767))

هَذي الهَواجِسُ لَم تَكُن مَرسومَةً في مُقلَتَيكِ

فَلَقَد رَأَيتُكِ في الضُحى وَرَأَيتُهُ في وَجنَتَيكِ

لَكِن وَجَدتُكِ في المَساءِ وَضَعتِ رَأسَكِ في يَدَيكِ

وَجَلَستِ في عَينَيكِ أَلغازٌ وَفي النَفسِ اِكتِئاب

مِثلُ اِكتِئابِ العاشِقين

سَلمى بِماذا تُفَكِّرين

بِالأَرضِ كَيفَ هَوَت عُروشُ النورِ عَن هَضَباتِها

أَم بِالمُروجِ الخُضرِ سادَ الصَمتُ في جَنَباتِها

أَم بِالعَصافيرِ الَّتي تَعدو إِلى وَكَناتِها

أَم بِالمَسا؟

إِنَّ المَسا يَخفي المَدائِنَ كَالقُرى

وَالكوخُ كَالقَصرِ المَكين

وَالشَوكُ مِثلُ الياسَمين

ولتملأ الأحلام نفسك في الكهولة والصبي

فدعي الكآبة والأسى واسترجعي مرح الفتاة

ويقول الشاعر لوالدته "سلمى: يجب أن تكون حياتك مليئة بالآمال والأحلام، وعليك الابتعاد عن الأمور التي تزيد من مصائبك، فيبدو أن الشاعر وجد الأمل والحلم نعمة لتخلص المرأة مما يزعجها ويؤلمها. ويقول إن التأمل في الحياة ومشاكلها يزيد من معاناتك وأوجاعك في الحياة، وسلمى هي التي حملت على عاتقها عبء الحياة وتعاني من مشاكل الحياة.((ينظر: ابراهيم خليل, 2007م, ص:19)), يؤكد الشاعر لسلمى على أنّ الليل يساوي بين الجميع ولا يفرّق بين أحد، وهذا ينبغي أن يُشعرها بالهدوء والسلام، ويحاول أن يبدّد خوفها بإظهار فضائل الليل؛ فهو كالإنسان له أحلام عديدة وكالنهار له سماء تملؤها النجوم، وهو يُغشي ظاهر الأشياء لكنه لا يُزيل معالمها ولا يسلبها حقيقتها وجوهرها، فيُخفي السهول والأودية لكنه لا يمنع الزهر من أن يبثّ عطره، ولا يمنع الماء من الجريان، والشجر في حضرته ما زال يُرسل حفيفه الهادئ المؤنس، ويقصد الشاعر من ذلك أنّ الكهولة قد تُخفي سمات الجمال في وجه الإنسان لكنها لا تمسّ جوهره، فتبقى للإنسان إنسانيته وتبقى جذوة الخير فيه، وهنا تبرز النزعة التفاؤلية عند الشاعر، ومن أبيات القصيدة التي تمثل ذلك ما يطلب الشاعر من سلمى أن تُزيح عنها همومها وتنسى ما هي فيه وتذهب إلى الطبيعة وتستمتع بها، وتُنصت إلى جداول الماء التي ما زالت تتبع سيرها، وتتمتع بأريج الزهر وتستنشق عبيره، وتستأنس بالنجوم التي تلمع في الأفق، كما يطلب منها أن تنعم بنعيم الحب الذي لا تذبل أزهاره ولا تغيب نجومه، فلتحيا الحياة بدل أن تفكر فيها، ولتفرح بالصباح والنهار والمساء،

وتقبل الوجود كما هو، وتظلّ روحها فتيّة ضاحكة، ولتعش حياتها بالأمل والأحلام قبل أن يأتي زمن الكهولة، مؤكدًا على أنّ التفكير بالحياة يزيد الإحساس بآلامها.

الفقر:

إن الفقر من المشاكل الاجتماعية التي يتكلم عنها الشاعر، وتزعجه هذه الأمور وتزيد من مشاكله في الحياة، لأنه ذاق ألم الفقر والحرمان، لهذا نرى عنايته بهذه القضية الاجتماعية. إن في الفقر مأساة المجتمع وقضية الإنسانية المعذبة والشاعر إيليا أبو ماضي يقول كلماته بصدق وإخلاص في قصيدة "الفقير" وتوغل في الفقر لأنه نفذ إلى جذر من جذوره((الديوان: ص: 170))

فس أقام الحزن بين ضلوعه

والحزن نار غير ذات ضياء

يبكي بكاء الطفل فارق أمه

حيران لا يدري أيقتل نفسه

ما حيلة المحزون غير بكاء

عمداً فيخلص من أذى الدنيا؟

إن نفسي مليئة بالحزن والهم وقد تسلّل هذا الحزن في وجودي ويبكي المحزون بكاء الطفل الذي توفيت أمه، والشخص المهموم ما حيلة له إلا البكاء والأنين فإنه حائر لا يدري أيقتل نفسه لكي يتخلص من آلام الدنيا ومتاعبها, وهنا نستطيع أن نشير إلى النفسية المهزومة بالنسبة إلى أبناء الشعب، ويظهر أن ثلة من المجتمع قد ضلوا الطريق إثر الاستماع إلى الدعايات الكاذبة من قبل الأثرياء التي لا تنتج سوى التأخر والتخلف والفقر. وفي الحقيقة يوجد طريق آخر غير اليأس والانتحار، وهو رد الفعل والاستقامة والاتحاد وتقوية المعنويات ويقول: ((الديوان, ص: 154))

أم يستمر على العضاضة والقذى

الهفي على المحتاج بين ربوعكم

قل للغني المستعز بعاله

والعيش لا يحلو مع الضراء

يمسي ويصبح وهو قيد شقاء

يقول الشاعر إن الحياة لا تحلو أبدا مع المشاكل والمعاناة ويخاطب الليل ويقول يا ليل لماذا لا تشفق لحالتي وأنا أعاني من المحن والآلام؟ ولهفي على الفقير الذي يقضي حياته إلى جانبكم وحياته مليئة بالمتاعب والصعوبات فقل للغني الذي يعتز بماله إنك تجاوزت حدك في((ينظر: طالب زكي, ص:124)), والشاعر يشير إلى حالة الأغنياء، فهم يفتخرون بأموالهم ولا يساعدون الفقراء يرى أبو ماضي أن الناس لا يختلفون من حيث القيمة وكلهم سواء ويرى أن الغني والفقير يتساويان في الخلقة ويجب أن يكون لكل الناس حق متكافئ من النعم لا أن يحرم الفقراء والضعفاء من النعم الأساسية والأولية((ينظر: فيصل سالم العيسي, 2006, ص:136)) , التفاوت الاقتصادي ويجده في هذا يسخر سخرية لاذعة من هؤلاء الأغنياء الذين ما زالوا منغمسين في شهواتهم ملتفتين إلى أهوائهم، ولا تهمهم صيحات الفقراء حولهم ولا تقلقهم أنات المتوجعين المتألمين، فيغضب غضب مضرية قاسية, ((حسان بن وارث, ص: 39)) ويقول في قصيدة مطعمة بالوعيد

كلوا و اشربوا أيّها الأغنياء و إن ملأ السكك الجـائعون

و لا تلبسوا الخزّ إلاّ جديدا و إن لبس الخرق البـائسون

و حوطوا قصوركم بالرجال وحوطوا رجالكم بالحـصون

فلا ضحايا الطّـــــــــوى ولا يبصرون الذي تصنعون

و إن ساءكـــم في الوجود وأزعجكم أنّهـــــم يولون

مرّوا فتصول الجنود عليهم تعلّمهم فتك المنـــــــون

فهم معتدون و هم مجرمون وهـم مقلقون وهم ثـائرون

ثم انتقل للحديث مع فقير وطلب منهم عدم الشكوى لأن مصيرهم الجنة، إذا كـانوا مـن أهـل الصـلاح، أمـا الأغنياء فصيرهم سقرا" إن كانوا من أهل الطلاح

سيمسون في " سقر " خالدين و تمسون في جنّة تنعمون

فلا تعطشون و لا تسغبـــون و لا يرتوون و لا يشبعون

لكم وحدكم ملكـوت السّماء فمـا بالكم لستم تقنعون ؟

فلا تحزنوا أنّكم ســـاهرون فسوف تنامون ملء الجفون

ستتّكئون مـــــــع الأنبياء تظلّلكم وارفات الغصـون

ونرى أيضًا دعوة للمساواة الاجتماعية التي لا تفرق بين صـغير وعظـيم فـي قصـيدته الشـاعر والسـلطان الجائر، كما نجد التعاون والتضامن في قصيدته التينة الحمقاء، التي تتشفى منها حكمة مفادهـا أنـه لا ينفـع الناس لا فائدة من

وَلَستُ مُثمِرَةً إِلّا عَلـــــــى ثِقَةٍ أَن لَيسَ يَطرُقُني طَيرٌ وَلا بَشَـــرُ

عادَ الرَبيعُ إِلى الدُنيا بِمَـــوكِبِهِ فَازَّيَنَت وَاِكتَسَت بِالسُندُسِ وَالشَجَرُ

وَظَلَّتِ التينَةُ الحَمقاءُ عـــــارِيَةً كَأَنَّها وَتَدٌ في الأَرضِ أَو حَجَـــرُ

وَلَم يُطِق صاحِبُ البُستانِ رُؤيَتَها فَاِجتَثَّها فَهَوَت في النارِ تَستَعِـــرُ

مَن لَيسَ يَسخو بِما تَسخو الحَياةُ بِهِ فَإِنَّهُ أَحمَقٌ بِالحِرصِ يَنتَحِـــــــرُ

الخاتمة:

يتبين لنا أن أبو ماضي لم يكـن شـاعرا غنائيـا متفـائلا يشـير الـى الطبيعـة ويسـتلهم منهـا الصـور الحسـية المتحركة بل هو كان شاعرا انسانيا يحمل هموم المجتمـع وآلام الأنسـان فـي شـعره, فجعـل مـن الأنسـان بشكل عام والمرأة والفقر بشكل خاص قضايا بارزة في تجربته الشعرية الاجتماعية, فقد ظهرت المرأة في كلماته وأبياته الشعرية إنسانا يستحق كل الأحترام والإنصاف, رافضا الفكرة التي تنتقص من مكانتها, فقد دعى إلى الاعتراف بـدورها الحقيقـي فـي بنـاء المجتمـع, كمـا تطـرق الشـاعر إلـى الفقـر بوصـفه ظـاهرة اجتماعية تمس كرامة الإنسان, فقام بتصوير ما يعانيه الفقيـر, وانتقـد التفـاوت الطبقـي داعيـا إلـى التكافـل والرحمة والعدالة.

واتسمت معالجة الشاعر لهاتين القضيتين بصدق العاطفة, وعمق الرؤية الإنسانية, ولغة شعرية جميلة جمعت بين الجمال الفني والرسالة الاجتماعية الهادفة, مما جعلت شعره معبرا عن قيم إنسانية خالدة تجاوزت حدود زمانه وأن شعره الاجتماعي يمثل نموذجا للأدب الملتزم الذي يهدف الى العمل والسعي في إصلاح المجتمع وإيقاظ الضمير الانساني لأجل ترسيخ المحبة والمساواة بين الناس.

المصادر:

١- الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث, سلمى الجيوسي, ت:ر, عبد الواحد لؤلؤة, ط2, بيروت,2007م.
٢- إيليا ابو ماضي(, حياته, شعره, نثره), نايف حاطوم, بيروت, دار الثقافة, 1994.
٣- إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد, طالب زكي طالب , منشورات المكتبة العصرية, صيدا بيروت.
٤- إيليا أبو ماضي بين الشرق والغرب, في رحلة التشرد والفلسفة والشاعرية, سلم المعوش, بيروت, مؤسسة بحسون, 1997م.
٥- إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال, خليل برهومي, بيروت, 1993م.
٦- دراسات في الشعر العربي المعاصر, شوقي ضيف, ط7, قاهرة, دار المعارف, 1974.
٧- ديوان الشاعر إيليا أبو ماضي.
٨- الرفض في الشعر العربي المعاصر, عمر فاروق الطباع, بيروت مؤسسة المعارف, 2006.
٩- الشعر العربي الحديث في لبنان, منيف موسى, ط2, بغداد, دار الشؤون الثقافية العامة, 1986.
10- شعراء المهجر الشمالي, صلاح الدين الهواري, بيروت , دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر, 2009.
11- مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث, ابراهيم خليل, ط2, عمان, دار المسيرة, 2007م.
12- مظاهر التجديد عند شعراء الرابطة القلمية, حسان بن وارث, بيروت , دار القليعة, 1988م.
13- النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية, فيصل سالم العيسي, دار اليازوري العلمية للنشر والطباعة, 2006.